

المدائن المقدسة في تاريخ المغرب الوسيط شواهد من قلب التراث

Morocco's Holy Cities in Medieval History: Evidence from the Existed heritage

الباحثة/ السعدية نوجدي

طالبة باحثة في تاريخ المغرب الوسيط - جامعة ابن طفيل/المغرب

Saadia Noujdi

Faculty of Arts and Human Sciences, Ibn Tofail University, Kenitra, Morocco

noujdi.adiyan@gmail.com

الباحث/ محمد الظهرة

طالب باحث في الكفاءة التواصلية - جامعة ابن طفيل/المغرب

Mohammed Al-Duhra

Ibn Tofail University, Faculty of Arts and Human Sciences, Kenitra, Morocco

Mohammedathra@gmail.com

الملخص

"المدينة هي حلم ضائع، تائه ومنفى، أشواق الفرد، أي فرد، لبلوغها، لا ترقى إليها أية أشواق أخرى، وفي المدينة أيضا سوف يكتشف كل تائه هويته ويتعرف إلى نفسه". ولتكشف هويتنا المغربية اعترزم القلم التملص من قبضة التيه والخروج للبحث عن المدائن التراثية الحاملة لطابع القداسة في بلاد المغرب الوسيط" كما خرج آدم من الجنة ليبنى في الأرض بيتا مقدسا، وكما خرج اسماعيل ليبنى البيت العتيق، وكما خرج شعب بني إسرائيل ليسترد أورشليم كمدينة ذهبية براقه". ومن هذا المنطلق قررت نحن القلم تنزيل موروثها الإنساني على طاولة البحث لتسريحه والنبش فيه عن شواهد تمكنها من إثبات حقيقة تلك الرؤية التي أعلنت وجود مدائن أسطورية وعجائبية مغربية معادلة شيئا ما في قداستها لمدينة القدس وإرم ذات العماد، ولأن مثل هذه المدائن ظلت قابعة في ظلمة الغياب والنسيان، ولم تنل حظها من البحث والتمحيص، سوف تحاول نحن تقديم قراءة تاريخية موضوعية تسهم في إحياء هذا الغائب المنسي داخل الأبحاث الدائرة حول حقل التاريخ الحضري، وإخراجه إلى النور رغبة في إعادة الاعتبار له وإنصافه وإزالة ذلك الغموض الذي لازال يكتنفه. وحتى يتسنى لها أن تنظر للقدسي الحضري على المستوى المجال المغربي ككل وإدراكه إدراكا كاملا، لا بد لها من الإجابة عن بعض الأسئلة المطروحة من قبيل: هل هناك شواهد تراثية وتاريخية تثبت أن المغرب بلد حاوي للمدائن المقدسة؟ وإذا وجدت به مدائن مقدسة فعلا فما هي تلك المدائن وما الذي جعلها مقدسة في أعين المغاربة ووعيهم الجمعي؟

الكلمات المفتاح:

المغرب الوسيط، التراث، المدائن المقدسة، فاس، مراكش، مدينة النحاس.

Abstract

"The city is a lost dream, lost and exiled, and no other longings can match the longings of the individual, any individual, to reach it, and in the city, too, every lost person will discover his identity and recognize himself". To discover our Moroccan identity, we resolved to avoid the grip of wandering and go out to search for heritage cities bearing the stamp of holiness in the Middle Maghreb countries", Just as Adam descended from heaven to build a holy house on earth, Ismail descended from heaven to build the ancient house, and the Children of Israel

descended from heaven to restore Jerusalem as a shining golden city". According to this viewpoint, the researcher deals with Moroccan human heritage in order to find evidence that can prove the truth of that vision that announced the existence of Moroccan mythical and miraculous cities comparable to something in their holiness to the city of Jerusalem and Iram that Al-Emad. And because such cities remained in the shadows of absence and obscurity, and did not receive their fair share of research and scrutiny, we will attempt to provide an objective historical reading that contributes to reviving this forgotten absence within the ongoing research on the field of urban history, and bringing it to light with a desire to restore its consideration, fairness, and remove the ambiguity that still surrounds him. To fully realize civilized sacred heritage in the Moroccan field as a whole, we must answer some of the questions raised, such as whether there is heritage and historical evidence proving that Morocco contains holy cities. And, if it contains holy cities, what are they, and what makes them holy in Moroccans' eyes and collective consciousness?

Keywords:

Medieval Morocco, heritage, the holy cities, Fez, Marrakesh, the city of copper

تقديم

سمحنا لهذه الباحثة المتمردة فينا بأخذنا قسط الأسد من الحرية، لتخاطب في القارئ عاطفته وتشد انتباهه إلى النحن التي يصعب عليها التقديم للمدينة المقدسة ما لم تدع القلم يتمرد ويكسر رتبة قواعد الكتابة التاريخية الباعثة على الضجر في بعض الأحيان بشعر عاطفي، لأن "الإنسان لا يستطيع أن يسكن على هذه الأرض إلا شعريا"؛ والشاعر هو من يقول في المدينة ما لم تقله النحن:

مدينتي امرأة وشحت روحها بالعفاف

وأنا المالك الأدمي الذي يشتهي

أن يموت على صدرها المرمري

خاشعا يتصدع من خشية الوجد والإنخفاف؛

وها هو القلم يعري ذاك الجانب المخفي في ذاكرة الشاعر العربي المنخطف، الذي يجسد المدينة في امرأة الفردوس، تلك المرأة البارعة الجمال، الفاتنة الحسن، الشهية الغاوية، الموجودة في القصص الخيالية والتي يريد الكل الهروب إليها والارتواء في حضنها وارتشاف رحيق حسنها والموت على صدرها، فالمدينة المقدسة هي مدينة الحب والحيوات الأخرى، مدينة الفضيلة والخير والنقاء والبهاء والرخاء، مدينة الطهر التي يتحول فيها القاتل والسكرير العريبي إلى عابد متصوف أو راهب في كنيس، مدينة العدل والمساواة والسلم المنشود حيث لا قاتل ولا مقتول، ولا غالب ولا مغلوب فيها، ولا ظالم ولا مظلوم. "المدينة الإلهية الثيوقراطية ذات السلطات المجتمعية حيث يضمحل داخل ذات الفرد تضارب الخاص والعام"؛ أو المدينة الفاضلة التي ترفع فيها القبود، وتزول فيها الفوارق كما نجد عند كل من أفلاطون وأرسطو والفارابي وابن سينا، وأوغسطين في مدينة الله، وتوماس مورفي في البيوتوبيا، ونازك الملائكة في مدينة الحب، والبياتي في مرثي لوركا. إنها المدينة التي لم تولد بعد وإن ولدت فلن تلدها إلا امرأة بربرية فاتنة على أرض المغرب. فهل وجدت مثل هذه المدينة الأحلومية المبهجة أو شبيبتها بهذه الأرض؟

ذلك ما سوف نعرفه من خلال ما وفره لنا التراث من معلومات عبر المحطات التالية:

المدينة: جينولوجيا المفهوم والدلالة

"المدينة هي حلم ضائع، تائه ومنفى، أشواق الفرد، أي فرد، لبلوغها، لا ترقى إليها أية أشواق أخرى، وفي المدينة أيضا سوف يكتشف كل تائه هويته ويتعرف إلى نفسه"^٦، ولتكتشف هويتنا المغربية اعترزم القلم التلمص من قبضة التيه والخروج للبحث عن المدائن التراثية التي تحمل طابع القداسة في بلاد المغرب الوسيط، متسائلا عن شكل تلك المدائن ومعناها؟

تلك المدينة هل في الأرض مبناهما وهل حوت كتب التاريخ معناها^٧

قبل كتب التاريخ حوت المعاجم أخبار تلك المدينة وقالت في معناها: المدن أو المدائن مفردها المدينة" مدن بالمكان أقام به (...) ومنه المدينة (...) وتجمع على مدائن (...) والمدينة حصن يبني في أصطمة الأرض (...) وكل أرض يبني بها حصن في أصطمتها فهي مدينة"^٨، والمدينة في المنظور الديني مشتقة من كلمة دين سواء في اللغة الآرامية أو العبرية أو العربية؟ فالدين كان عاملا أساسيا في نشأة مدائن كثيرة، وكلما ضربنا أبعد في التاريخ، كلما اشتدت هذه العلاقة، فعند السومريين لم تؤسس المدينة إلا للعبادة، فالمدينة نطاق مقدس، كذلك فللمدينة صبغة دينية عند الآشوريين والمصريين، ففي مصر كانت تسمى بأسماء الآلهة، وحين أتى الإغريق لم يفعلوا سوى أن أحلوا أسماء الآلهة الإغريقية، وفي اليونان نفسها بدأت أثينا كمعبد للآلهة أثينا. وفي العصور الوسطى في أوروبا لم تقلت مدينة تقريبا من الأصل الديني، فكانت مراكز إشعاع ونشر المسيحية في الوسط الوثني. أما الإسلام فهو على وجه اليقين خالق للمدن بدرجة أكبر من المسيحية كما يقول ديفونتين، وبناء للمدن على حد قول بيير جورج؛ فالإسلام على رأي مارسي وطد نفسه منذ ظهوره بوصفه ديناً مدنياً في جوهره، وأن انتشاره تجسد في توسيع المنشآت المدنية، لأن المدن من وجهة نظره هي الأماكن الوحيدة التي يستطيع أتباعه القيام فيها بكل متطلبات الشريعة؛ فالدين لا يمارس بحق إلا في مدينة، والجمعة من التجمع وله، بينما التبعثر قد يؤدي إلى التهاون والابتعاد، ولهذا انتقدت السكنى المبعثرة: "ساكنو الكفور ساكنو القبور"، وقد تحول اسم يثرب بعد الإسلام إلى المدينة، وقد كان المسجد أول أساس يقام في المدينة الإسلامية الجديدة؛ وكل المدن التي جاءت بعدها أقيمت حول المساجد مثلما كانت تقام حول المعابد حسب ما أفادنا به ديفونتين "أن المرحلة الأولى كانت دينية بالنسبة إلى كثير من المدن، إذ إنها بدأت بوصفها بيوتا إلهية ومعابد. ويتساءل كم من المدن بدأت بإقامة معبد؟ إن بيت الألوهة سبق بيت البشر، وفي البداية لم تكن المدينة سوى مكان للعبادة"^٩، وإن الناس مخلوقات تبحث عن معنى، فإذا ضلوا السبيل أصبحوا يجهلون كيف يحيون وكيف يحدون لأنفسهم مكانا في هذا العالم. وهذا هو السبب الذي دفع الأقدمين إلى بناء المدن حول المعابد التي يعمرها الوجود الإلهي، فما أن يشعروا بأن بقعة ما قد أصبحت مقدسة، حتى يفصلوا بينها وبين ما حولها من بقاع دنيوية. والتجلي الإلهي فيها يجعلها مركز الأرض. ولكن الأمر لم يكن يتخذ صورة هندسية أو حرفية، فلم يكن يرى البربري غرابة في أن يعتبر المغرب أيضا مركزا مقدسا؛^{١٠}

وأخيرا يجدر بنا أن نعرض في هذا الأفق إلى أن هذا المركز في المؤلفات القديمة كان يحمل اسم اليوتوبيا، "فاليوتوبيا هي التي رسمت خطوط المدينة الأولى، ومن الأحلام السخية تأتي الوقائع النافعة، وإن خريطة للعالم لا تحتوي على يوتوبيا لا تستحق حتى مجرد النظر إليها، لأنها تغفل البلد الوحيد الذي تتوجه سفينة البشرية دائما إليه، وعندما ترسو على شاطئه، تتلف في الأفق، فإذا لمحت بلد آخر، انطلقت مبحرة إليه، إن التقدم هو تحقيق اليوتوبيا في الواقع"^{١١}، والحلم بمجتمع أفضل وأكثر عدلا، صرخة احتجاج على أوضاع وظروف اجتماعية ظالمة وفسادة. ولم تجد الغالبية العظمى من المشروعات اليوتوبية طريقها إلى التطبيق، والقليل النادر الذي طبق منها كان مآله الإخفاق، ومع ذلك لم يكف الخيال البشري عن الحلم

بواقع إنساني أفضل، ولن يتوقف عنه يوم من الأيام. وبناء عليه، فالبيوتوبيا هي نموذج لمجتمع خيالي مثالي يتحقق فيه الكمال أو يقترب منه، ويتحرر من الشرور التي تعاني منها البشرية، ولا يوجد مجتمع كهذا في بقعة محددة من بقاع الأرض، بل هي في أماكن وجزر متخيلة، وفي ذهن الكاتب نفسه وخياله قبل كل شيء. وانجسد ذلك الكاتب في أفلاطون وأرسطو والفارابي وابن سينا؛ لكونهم حاملين لأفكار طوباوية ومثل وهمية حلمية يصعب تجسيدها وتطبيقها على أرض الواقع؛ فهم انطلقوا في أفكارهم ورؤاهم من سماء الحلم والوهم لا من أرض الواقع، فلا استقراء ولا تحليل ولا معاشية، كانوا يريدون تحقيق الأمل المثال عكس ابن خلدون الذي كان يريد تحقيق الواقع المثال؛ لأن البيوتوبيا المطلقة المثالية هي مجرد افتراض علمي، فليست هناك بيوتوبيا مطلقة، وما دام الأمر كذلك فعلياً أن نتجاوز ونتخطى هذه المنطقة الوعرة، ونفترض أن هذه البيوتوبيا موجودة ومعروفة، وأن نبحث عنها في البلاد المغربية التي ندرسها، حيث تبين أنها تظهر في صور : مدن مقدسة، مدن مؤسطرة .

المدائن المقدسة بالمغرب

إن الحق الذي لا منزع فيه، أن المدينة في تراث العصر الوسيط اكتسبت جلالاً خاصاً وتقديساً معتبراً، لكونها تمثل النظام والجمال والأمن الإلهي، فهي صورة الخلود السعيد، ومقر للأبرار المختارين على شكل مدينة محصنة جيداً ومغلقة بغلاف من الذهب والأحجار الكريمة. وفاس ومراكش وعاء حامل لتراث المغرب فهما يمثلان نمطاً حضارياً مميزاً بما تمثلانه من علاقات ثقافية ودينية واجتماعية وحكومية؛ وبما تحرزناه من هالة قدسية شعاعها يعمي العيون التي ترى ولا ترى الضوء الديني المنبعث منهما. والحمد لله أن أعين القلم لم يصبها العمى لأن أول نور ضوء تراءى لها كان من مدينة فاس التي هي أم البلاد المغربية، وواسطة عقدها، ودار النعم الكثيرة المواليات، وذلك ببركة دعاء المولى إدريس، اقتداءً بجده (ص) في دعائه للمدينة، وسيدنا إبراهيم (ع) في دعائه لمكة، فتميزت عن غيرها بتلك البركة وبحلوله في وسطها، ناهيك عما بها من منقبة شرف وفضل وفخر. وقد حازت بذلك من البركات ما لا حصر له، مثل تأسيسها وبنائها على يد الأشراف، فلا يعرف على وجه المعمور مدينة عظيمة إسلامية عامرة بالعلم والدين أسستها يد بضعة نبوية طرية إلا هي، ولن تعدم بركة ذلك بفضل الله تعالى ثم بعظيم أحب خلقه إليه النبي محمد (ص)؛ وبفضل ما أحلى على المولى إدريس البشارات النبوية المقدسة عند بنائها، من بينها تلك البشارة الموجودة في " كتاب دراس بن إسماعيل أبي ميمونة بخط يده (...)) قال: حدثني محمد بن إبراهيم المواز عن (...) النبي (ص) ستكون مدينة تسمى فاس: "لقد تحققت البشارة" وأمر ببنيان المدينة البيضاء، وأعانه الله، على بنائها، لقوله (ص) حين عرج على المعراج، فرأى بقعة بيضاء تتلألأ نورا في المغرب؟ قال له جبريل، عليه السلام، هذه مدينة لأمتك في آخر الزمان؛ تسمى فاس" ٢١.

ومن الجلي أن الأساطير المغربية لم تكف بوضع الأحاديث النبوية المبشرة ببناء فاس فقط، بل وضعت بشارات كتابية، كالبشارة التي ذكرها ابن غالب في تاريخه، أن الإمام إدريس لما عزم على بنائها، ووقف في موضعها يختطها، مر به شيخ كبير راهب من رهبان النصارى (...) فوق إدريس وسلم عليه. ثم قال له: أيها الأمير ما تريد أن تصنع بين هذين الجبلين؟ فقال: أريد أن أختط بينهما مدينة (...) يعبد الله تعالى بها، ويتلى بها كتابه، وتقام بها حدوده. قال: أيها الأمير إن لك عندي بشري، قال: وما هي أيها الراهب؟ قال: إنه أخبرني راهبا كان قبلي في هذا الدير (...) أنه وجد في كتاب علمه أنه بهذا الموضع مدينة تسمى فاس، خربت منذ ألف وسبعمئة سنة، وأنه يجددها ويحيي دائرها، ويقوم دارسها، رجلاً من آل بيت النبوة يسمى إدريس، يكون له شأن عظيم، وقدر جسيم، لا يزال دين الإسلام قائماً بها إلى يوم القيامة. فقال إدريس (ص): الحمد لله أنا إدريس، وأنا من بيت رسول الله (ص)، وأنا بانيتها" ٢٢.

يفهم من هذه الأسطورة البشرية أن موقع فاس، هو في الأصل مدينة قديمة مخربة، يروى " أن رجلا من اليهود احتقر أساس لدار (...) من المدينة المذكورة (...) فوجد في الأساس قطعة رخام على صورة جارية منقوشة على صدرها بالخط السندي: هذا موضع حمام عمر ألف سنة ثم خرب فأقيم بموضعه بيعة للعبادة"^{٢٠} وهذا يعني أن الأسطورة تبغي من ذلك تأكيد التلميح بشكل مباشر إلى أن المولى إدريس هو من عمل على تجديد عمارتها فقط، والتلميح بشكل خفي إلى نهاية الوجود الديني اليهودي والمسيحي بالمغرب، لما قامت به فاس من ترسيخ للإسلام على أرضه^{٢١}

وعلى الرغم من أن هذه الأسطورة لم تصف لنا دور المولى إدريس في بناء المدينة المقدسة، فإن هناك أسطورة أخرى تخبرنا ببناء المدينة والاختلاف في تسميتها ومشاركتها في بنائها " واختلف الناس في السبب الذي سميت من أجله، فقيل: إن إدريس لما شرع في بنائها، كان يعمل فيها بيده مع الصناع والفعلة والبنائين، تواضع منه الله تعالى، ورجاء الأجر والثواب. فصنع له خدمته فاسا من ذهب وفضة. فكان إدريس يمسكه بيده، ويبتدي به الحفر، ويختط به الأساسيات للفعلة. فكثرت عند ذلك ذكر الفأس، احفروا بالفأس، فسميت مدينة فاس لأجل ذلك"^{٢٢}

يبدو من هذه الأسطورة أن المولى إدريس أراد إظهار التواضع ومشاركة الصناع والخدم في البناء تشبها بالنبي(ص) الذي شارك صحابته حفر الخندق لحماية المدينة من الأعداء بيديه الشريفين^{٢٣} وما يعاب على المولى إدريس أنه سمح للعمال بصناعة فأس من الذهب والفضة ليعمل به وكأنه لا يعلم أن ذلك غير جائز في الشريعة" قاله صاحب الاستبصار، وهذا والله أعلم لا يصح، لأن إدريس(ض) لا يجهل أن استعمال الذهب محرم على الرجال"^{٢٤} فإن كان لا يجهل ذلك فهذا معناه أنه أراد انتهاك المحرمات لينبهه إلى الدلالة الرمزية الأسطورية لبناء فاس بفأس من ذهب وفضة، وهي فأس تدل على شرف الباني ذو البأس الشديد والسلطان القاهر وعلى شرف المدينة، وبهذا صارت فاس مدينة الشرف والشرفاء، والغنى والثراء، واتساع الحضارة، آيتها في كل ذلك أنها بنيت بفأس من ذهب وفضة^{٢٥}

وإذا كانت الدولة الإدريسية لم تخلق نموذجها اليوتوبي الذي حلمت به إلا بحضور الأساطير البشرية النبوية والكتابية، فإن الدولة المرينية لم تخلق نموذجها المدني الجديد وتبنيه إلا بعد حضور أساطير الولوية" حكى أن الشيخ أبا إبراهيم يحيى بن مطر الورياعلي (...) كان إماما بجامع الشطة، وكان يأمر الأمير أبا يعقوب بن عبد الحق المريني بالمعروف وينهاه عن المنكر، فأكثر عليه مرة، فقال له الأمير: أخرج من بلدي، فلما خرج أصاب الأمير وجعا شديدا، فأمر برده، فقال: لا أدخل حتى يخرج هو، ولا أكون أنا وهو في بلد واحد، فخرج في حين، فسكن وجعه. وأمر ببناء المدينة البيضاء"^{٢٦} بعد استطلاع الغيب حتى لا يكون بناء شوم" وشرع السلطان في حفر أساسها، وأخذ طالع ذلك الفقيه المعدل، سليمان الغياش(كذا) ومحمد الحباك، وكان تأسيسها في طالع سعيد، ووقت يمن وبركة ومزية، دل على طول بقائها، وكثرة عمارتها، واتصال خيراتها، وما يجبي إليها من أموال"^{٢٧} ومن بركتها وسعادتها ويمن طالعها، أنها لا يموت فيها خليفة، وأنها لم يخرج منها جيش إلا ظفر، ولم يعقد قط بها لواء إلا نصر. ولا يفتأ بعض المؤرخين المسطرين يضربون الأمثال على سعادة طالع فاس الجديد^{٢٨} التي تشبه السلطان في استطلاع غيبها بالمولى إدريس المتفائل بملاك أرض فاس الفأل اليقين عند تأسيسها" وسأل عن مالك الأرض، فقيل له: قوم من زواغة، يعرفون ببني الخير. فقال إدريس(ض): هذا فأل حسن"^{٢٩} ومهما كانت نسبة التشابه ضئيلة فإن هذا الفأل وأخذ الطالع يمكن إدخالهما خانة القداصة بما يعلنانه باسم الغيب عما ستشهده المدينة القديمة والجديدة من سعد وخير وبركة يميزها عن باقي المدائن المغربية.

وبالفعل لقد تميزت المدينة البيضاء بأساطيرها السريالية المرتبطة بالمياه" هذه المدينة يأتيها الوادي المعروف بوادي الجوهر، وغدير الحمص، ينبس أصله من الموقع المعروف برأس الماء، على بريد من غربي هذه البلدة (...) اختط به السلطان أبا سعيد عثمان المريني (...) قصرا مشرفا على محل خروجه، فعانت فيمن استخدم من الفعللة أهل البناء الموتين، أنفة من

سكانه عالم الجن، لأجل استباحة الإنس إياه، فهلك أهل البناء، وتكرر ذلك حتى أفلح السلطان عن خطته^{٣٠}. بعدما هاتفه هاتف قائلا له: يا أيها الملك بالله وتالله إن لم تنته من البناء في هذا الموضع قتلناك، فنحن جماعة من ملوك الجن ساكنون على هذه العين فحيرتنا، وكل من هلك من صناعتك نحن أهلكناه لكي ترجع عما أنت فيه، وهذا إنذار منا إليك والله يشهد. فلما سمع الملك مقالة الهاتف، أن ذلك الموضع لا يستطيع أحد أن يبني فيه، فعزل البناء^{٣١}: "فبهذا الإنذار دافع الجن عن حرمة مكانه وعاقب كل من استباحها ولم يثته عن ذلك أن الفاعل هو السلطان، وفي نفس الوقت حافظ على" استمرار الحياة في فاس لأن بناء قصر على المنبع من شأنه إفساد المياه والتصرف فيها، الشيء الذي قد يهدد المدينة ويشجع الثوار على حرب مائية إذا استلزم الأمر ذلك^{٣٢}:

حان وقت العود الأحمدى إلى فاس القديمة واستكمال الحديث عن مميزاتها الأسطورية العجائبية، التي نذكر من بينها أسطورة عودة الموتى، أي ظهور جسد المؤسس بعدما شيع موت^{٣٣} ودفن المولى إدريس بخارج باب وليلة (...). وظهر جسده بكفنه في سنة ثمان عشرة وسبعمئة، وازدحم الناس عليه من سائر أقطار المغرب (...). وقفت عليه في أمر سلطاني يقضي ذلك^{٣٤}: "وما وقفنا عليه أن هذا الظهور الخارق تريد الأسطورة بواسطته أن ترسخ في المخيال الشعبي بأن المولى إدريس هو رمز التقوى والصلاح والمنزلة الرفيعة عند الله حيا وميتا، وأن جثته لا تزال محتفظة بالبركة التي يفيض سائلها المقدس على المدينة ليعصمها" من سكنى الكفار بها، فكان لا يسكنها كافر فضل من الله ومنه، فكانت بذلك مشابهة للحرمين الشريفين (...). على ما يفيد ما نقل عن غير واحد من الأخبار، من أنه رأى المصطفى (ص) واقفا على جبل القلة خارج باب الجيسة وهو يقرأ سورة "إيلاف قريش" ويشير بآخرها إليها تأمين لها من كل ما يخاف ويتقى ببركة هذا الإمام (ض). تأمين طهرها من فرق المبتدعة التي توجد بالمشرق، فلا تكاد تجد فيها مبتدعا أصلا، وإذا رأيته رأيته خاملا منهزما منكسر الرأس، والسهم كلها متوجهة إليه بالشدة والبأس، إلى أن يأخذه الحق تعالى أخذا وببلا، ولا يجد للانتصار ولي ولا كفيل^{٣٥} وكفيلنا أن لبركة المولى إدريس فعلا ساحرا متعدد الأوجه، فبالإضافة إلى الفعول المذكورة كان لها فعل علمي تأثيره جعل فاس دار دين بدعاء إدريسها^{٣٦} اللهم إنك تعلم أنني ما أردت ببناء هذه المدينة مباحة ولا مفاخرة، ولا سمعة ولا مكابرة، وإنما أردت أن تعبد فيها، ويتلى بها كتابك وتقام حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد (ص) ما بقيت الدنيا^{٣٧} اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك وتقام بها حدودك واجعل أهلها مستمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها^{٣٨}: "لقد أستجيب الدعاء وصار العلم ينبع من صدور أهلها كما ينبع الماء من حيطانها^{٣٩}؛ وصارت" دار عبادة يشهد بها طرح الجنة ومسجد الصابرين، ومقر العز الذي لا يهضم، وكرسي الخلافة الأعظم^{٤٠}؛ وقبلة للصلاة كالقدس بدليل الحديث النبوي" تكون بالمغرب مدينة تسمى بفاس أقوم أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة، أهلها على السنة والجماعة ومنهاج الحق لا يزالون متمسكين به لا يضرهم من خلفهم يدفع الله عنهم ما يكرهون إلى يوم القيامة^{٤١}؛ ولا يضر قلم النحن لو سطر معترف أن مدينة فاس لم تزل منذ بنائها دار الفضل والدين والسنة والجماعة حسبا قاله الشيخ رزوق في بعض تعاليمه^{٤٢} إن ثلاث مدائن بالمغرب أكثر الناس صلاة وديانة، وهي: غرناطة وتونس، وفاس أكثر المدينتين المذكورتين صلاة^{٤٣}؛ وأكثر طلبا للمساجد والمسجد الحق يقوم في قلب طاهر مقدس، فدع الناس يعبدوا الله فيه^{٤٤}؛ ولا يوجد أظهر من قلب فاس لاحتضان مسجد القرويين الذي بنته^{٤٥} أم البنين بنت محمد الفهري (...). بعدوة القرويين^{٤٦}؛ والذي تميز بالعديد من العجائب الأسطورية، كعجيبة سيف المولى إدريس المجعول في أعلى صومعته لأجل التبرك وحماية المدينة من شر العدو^{٤٧} وقد ذكر بعض أهل العلم، أن مما يستدفع به الأذى عن أهل فاس، بقاء أثر شجاعته (المولى إدريس) ونصرته لدين الله، وقهره للأعداء بها، وهو سيفه الذي بأعلى منارة القرويين. فقد تضمن وضعه هنالك إشارة جليلة إلى الدفع عن أهلها ورد من رامها بسوء^{٤٨}:

لكن عجيبة السيف لن تكتمل إلا بعلم السلطان أبي عنان المعلق في فنار القرويين، وفي هذا قال عبد الواحد الزيتوني:

رفع الفنار أبو عنان فارس
شهر الأذان بذلك شهرة رافع
أعلا المنار وزاد فيه علاما
لظهور دين الله فيه حساما^{٤٧}

والملمح الأسطوري اللافت للنظر في هذا الجامع هو وجود الطلاسم السحرية والتماثيل بأعلى قبته التي أريد منها حماية المباني والسكان، بنى المنصور بن أبي عامر " بالجامع المبارك القبة التي على رأس العنزة، وسط الصحن، حيث كان المنار القديم، ونصب على أعلاه طلاسم وتماثيل كانت قبل ذلك على رأس القبة فوق المحراب (...) فجعل الطلاسم على أعمدة فوق القبة (...) منها "طلسم للفار، فكان الفار لا يدخلها ولا يعيش فيها، ولا يفرخ، وإن دخلها افتضح وقتل. ومنها طلسم للعقرب (...) فالعقرب لا يدخل الجامع المكرم أصلا، ولا يفرخ فيه (...) ومنها طلسم على رأس عمود من نحاس أصفر، فيه تفافيح. يذكر أنه للحية، فهي أيضا لا تفرخ فيها ولا تدخلها، وإن دخلتها افتضحت وقتلت"^{٤٨}.

والغريب في الأمر أن وجود هذه الطلاسم لم يكن يثير إزعاج المؤمنين ورهابهم، فهم يتقبلون وجودها بكل أريحية معتقدين في حمايتها لهم ولمبانيهم، ومؤمنين بأن تواجدها بالمسجد مسألة فنية لأن "جميع الفنون في الإسلام تقود إلى المسجد والمسجد إلى الصلاة، أي أن المسجد نوع من صلاة الحجارة على رأي روجيه غارودي"^{٤٩}؛ وعلى رأيهم فالمسجد نوع من صلاة التماثيل لذلك حرصوا على أسطرت مسجدهم بها إيمان منهم أن "انتظام صحة كياناتهم المدني لا يستمر إلا بتأدية وظائف جلية على المتقن الصحيح، ومن تلك الوظائف التي يجب أن تطلع بها المدينة كمكان احتضان ممارسة المسلمين لعبادتهم وشعائهم الدينية، وكذا للجماعتين المسيحية واليهودية في عالم الغرب الإسلامي، فالمسجد الجامع لا يكون إلا وسط تجمع سكاني وعمراني كثيف، أي في مدينة. إلى ذلك فقد كانت مدينتي فاس ومراكش مثل مكة والمدينة والقدس، وجهة للتبرك والحج" حيث يصلي المرء ويدعو مؤملا تحقيق أمانيه.

وها هو القلم تقصد ذكر مدينة مراكش بهذه العبارة حتى يتسنى له الانتقال بسلاسة إلى الحديث عنها معن بأن "مراكش أعظم مدينة بالمغرب وأجلها"^{٥٠}؛ لأنه مدينة الله باللسان الأمازيغي "أمورن ياكش"^{٥١} المركب من كلمتين: مر أو أمر ومعناها عند الصنهاجيين الحماية أو الموضع المتمتع بها. واكش أو أكوش بمعنى الله. وثبت أن الاسم طرأت عليه تغيرات حتى أصبحت تنطق مراكش أي حمى الله أو المكان الذي ترعى فيه عهود الله^{٥٢}؛ و" تنبع الولاية من حيطانه، كما ينبت البقل من حيطانه"^{٥٣}؛ وتربته تربة الولي، والبرج البني الجلي^{٥٤} المحفوظ المحروس الكثير البركات المشحون بالصالحين والأولياء العارفين وأرباب الأحوال القدسية والأنفاس الزكية والأنوار الزاهرة والأسرار الكاملة؛ فعن هذا المقدس الأناسي الولائي المنتشر في مطاوي مراكش، نستشهد بما وقف عليه "رودولف" من مشاهد له تشبه إلى حد بعيد، من حيث ظاهرها، ما يتردد صداه في الأناجيل المتفقة، إن في أحياء مراكش "أناس أولياء" يبرزون بين الفينة والأخرى ويؤلب كل واحد منهم حلقة من الأتباع حوله، فيختلف العباد إليهم ذهابا وإيابا، ويقتطفون لهم من أقوالهم، وينظرون معجزاتهم، ويرقبون أحوال عيشتهم وصنيعهم. فتتعلق حولهم مجموعات من الأنصار، متماسكة الوصال، أو موالية على حسب الاتفاق، وتأخذ الأقوال والأخبار، والأقاصيص شكلا لها، وينكدس بعضها فوق بعض؛ فتنشأ أخوات، أو تنتسج أوصالها إلى حلقات مترامية الأطراف"^{٥٥}؛ وقوله هذا لحق، إذ لا يخفى أن هذه الحلقات يحتل مركزها على الدوام الأولياء السبعة الذين استمدوا قدسيتهم من علاقتهم بالماضي الديني المتمثل في النصوص النبوية، كالنص الذي نص فيه النبي عند وقوفه بأحد الأبواب المراكشية، على أسماء هؤلاء واحدا واحدا حسبما ذكره التادلي " قال سمعت أبا زيد الدقاق وكان رجل خير يقول: رأيت النبي (ص) في النوم عند أحد أبواب مراكش، فقلت له يا رسول الله، أفي هذه البلدة أحد من الأولياء؟ فقال فيها سبعة، فقلت يا رسول الله من هم؟ فقال هؤلاء، فإذا سبعة رجال خروج من الباب، ما عرفت منهم إلا أحمد بن محمد الغساني المعلم"^{٥٦}؛ وما عرفناه أن

هذا النص حتى ولو كان من الأحاديث الموضوعية، فهو كاف لتبيان قداسة مراکش الكعبة السادنة لهؤلاء الحماة، الذين تأكدت قداساتهم بالاعتماد على حديث نبوي آخر جاء على لسان "أبي قلابة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يزال في أمتي سبعة لا يدعون الله بشيء إلا استجاب لهم، بهم تنصرون وبهم تمطرون، وقال: حسبت أنه قال: وبهم يدفع الله عنكم"^{٥٩} فهل دفع هؤلاء عن مراکش الأساطير والخرافات التي نسجت حولها وفي أحضانها؟

الحقيقة التي لا غبار عليها، أن مدينة مراکش المحروسة والمحمية برجالها السبعة نسجت حولها أساطير كثيرة لدرجة قرنت عملية تأسيسها بالأفلاك والأبراج والتنجيم بشهادة ابن المؤقت "إن مؤسسها، رحمه الله، تحرى بواسطة منجميه وضع أول حجر من تأسيس بنائها في برج العقرب، الذي هو برج الغبطة والسرور، لتبقى دائما دار سرور وحبور، وذلك هو السر في كون السلوك والنشاط يغلب على سكانها، ويفيض من بين أركانها": "وما يفيض من بين هذه الأركان يشي أن عيون مراکش المائية محمية بالسحر والأرواح بدليل ما "يقوله المؤرخون: إن الملك الذي أسس مراکش توقع بفضل معطيات بعض المنجمين أنه سيخوض معارك كثيرة، فأنجز بواسطة الفن السحري جميع العوائق الطارئة في القناة المائية التي تجلب الماء من نهر أغمات إلى مراکش، حتى لا يعرف أي عدو من أين يأتي الماء إلى المدينة، فلا يستطيع أن يقطعه عنها،^{٦٠} وما نستطيع التصريح قطعا به بعد التأمل العميق أن قولهم فيه استعادة دينية لأسطورة الخلق التكوينية" وجعلنا من الماء كل شيء حي". فلو لا الماء ما بنيت مراکش القاحلة الجرداء والجذباء، التي أضحت بفضل القناة المائية مكانا مقدسا، وأضحت بفضل الفن السحري المقيد لأي مسعى بشري يريد اختراقها مدينة محمية. إذا، فإنجاز القناة المائية في "جانبا الطقوسي تؤكد إعادة الانتساب إلى الذكرى القديمة للماء الأول"^{٦١} الماء الذي يحلم به العدو ولا يستطيع الوصول إليه وقطعه عن مراکش وأهلها. وتؤكد معها على أن هدف الملك من هذا الإنجاز السحري ونسبه لأسطورة التكوين هو تبييد ذلك الحلم وحماية المدينة من الهلاك والعطش في الأيام الصعبة كالحروب، ومنحها تلك الهالة القدسية السحرية التي تجعلها مهابة ومعظمة. مهابة تزداد جلالا بعظمة جامع الكتبية المعادل في منزلته منزلة جامع القرويين من حيث القدسية والاسطورية، حيث "يعزو الشعب إنجازها إلى العمالقة"^{٦٢} وينسب إلى المرأة شرف المشاركة في إنجازها" تقول التقاليد إن آخر العمالقة، مع زوجته هو الذي بنى مؤذنة جامع مراکش، وتسمى الكتبية، وكانت امرأته تقطع الحجارة من جبل صغير، وتقدمها لزوجها عند المؤذنة فكان يمد يده ويتناولها منها ويضعها في أماكنها"^{٦٣} وبهذا ننفي عن المنصور الموحد صفة بناء الكتبية، فمثل هذه البناء العظيمة لا يمكن أن تكون إلا من عمل العمالقة، عمل من شأنه أن يدفع بالعامية إلى نسج الأساطير الميثافيزيقية الغريبة حولها، ويجعلها وعيهم الجمعي محمية بالسحر والأرواح حتى يدرأ عنها أي خطر يتهدهدها، ويتهدد ثقافتها" أنشئت مراکش وأقيمت فيها قسبة كبيرة (...) وفي وسط القسبة جامع في غاية البهاء وتعلوه صومعة وفي أعلاها عمود من حديد فيه ثلاث تفاحات من ذهب (...) وقد أراد كثير من الملوك أن يزيلوها ويسكوها نقودا عندما اشتدت حاجتهم إلى المال، ولكنهم في كل مرة تحدث لهم حادثة غريبة تلزمهم بتركها في مكانها، وتقول العامة إن التفاحات وضعت تحت تأثير أحد الكواكب، وإن من ركزها قرأ عليها عزائم سحرية ألزمت بعض الأرواح برصدها دوما"^{٦٤} فهذه الصومعة العالية في تصور العامة أعظم ما في الكتبية، وأعظم ما في هذه الصومعة تفاحاتها الذهبية، التي تحميها العفاريات، والتي تؤثر فيها الكواكب تأثيرا سحريا. ففي نظرهم أن كل اقتلاع لهذه التفاحات هو اقتلاع لرمز حضاري مقدس قداسة سحرية، لذا يتطيرون من مجرد مسها واستباحة قداستها الكامنة فيها^{٦٥} فهذا التطير نلمسه بوضوح جلي في نص حسن الوزان "وفي أيامنا هذه، أراد ملك مراکش، الذي كان عليه أن يصد هجمات المسيحيين البرتغاليين، ولا يبالي بسداجة العامة، أراد أن ينزع هذه الكرات. لكن السكان منعه من ذلك، بدعوى أنها تمثل أشرف حيلة لمراكش، دعوة بلغت بأهل مراکش إلى درجة التطير من مسها^{٦٦}

فالويل لمن يقترب من رمز شرفها ومسه، فلن يناله من ذلك سوى الهلاك" ولما قام أحد الأمراء في العصور المتأخرة بإزالة إحدى تلك التفاحات وإعطائها لصانع يهودي لتذويبها (...) وتذمر الشعب من فعلة الحاكم، الذي أعاد التفاحة بعدما أعادها إلى شكلها القديم، وفي اليوم التالي وجد ذلك الصانع اليهودي مشنوقا ومعلقا على برج تلك التفاحات، وقد أرجعت جموع الشعب ذلك إلى فعل الأرواح الحارسة لتلك التفاحات^{١٨} لكن السؤال الذي يثور بالبال هنا هو: أليس من الأجدى أن الموت الذي مس الصانع أن يمسه الحاكم أيضا باعتباره هو من أمر اليهودي بالقيام بذلك؟

لقد جواب كربخال عن هذا السؤال الذي طرحناه قائلًا: إن هذا الأمير فقد منذ ذلك الحين الحياة والتاج، وأن الشعب نسب مصيبتهم لهذا العمل، بحيث لا يقدم أحد بعده على مسها! لكن القلم تجرأ وأقترب من التفاحات الساحرة ومسها فأصابه منها ما يصيب به علم القارئ بأن للمرأة دورا كبيرا في صنعها فما ورد في كتب التاريخ يخبرنا أن زوجة المنصور بعد أن بنى زوجها هذا الجامع أرادت أن يكون لها نصيب في تزيينه، فباعت حليها من الذهب والفضة والجواهر التي أهداها لها المنصور عندما تزوجها، وأمرت بصنع التفاحات الذهبية الثلاث، لتعطي أبهى منظرا لرأس هذه الصومعة: فهل أرادت زوجة المنصور حقا ذلك الأمر؟ أم أنها أرادت تارة إحياء أسطورة التفاحة الذهبية الطروادية متخيلة نفسها ربة من ربوات الإغريق، وتارة أخرى إحياء أسطورة البطل الميثولوجي الأمازيغي أنطانيوس مع التفاح الذهبي الهسبريدي متخيلة نفسها حورية من حوريات حدائق الهسبريد؟ أم أنها أرادت من ذلك إثبات أن زوجها هو العملاق الباني للصومعة وأنه الملك الحاكم الحامي لمراكش التي هي بلد الجمال والسحر والجاذبية والوفرة والخصب والكمال والحكمة والغواية والحب والحرب باعتبار أن الفاكهة الذهبية التي تحويها أرض هذه البلدة، هي في جميع الميثولوجيات القديمة، وفي الأدبيات والعلوم ترمز في معانيها إلى كل تلك الصفات المذكورة؟

كجواب، لقد أسطرت زوجة المنصور نفسها بهذا العمل، وأسطرت التفاح الذهبي وزادت من قداسته بمال صداقتها، وأبدعت عنها كل شبهة لا يرضاها الدين مشبهة نفسها في بعض الوجوه بفاطمة الفهرية بانية القرويين، هذا من جهة. ومن جهة ثانية أرزت زوجها المنصور في عمله العظيم كبطله كامنة خلف الستار والحجاب، حتى تثبت للعالم أن المنصور هو آخر عمالقة مراكش ولا عملاق بعده^{١٩} فلا شك في أن المقدس يشحن كل شخص يدير شؤون مكانه بقوة صادرة عنه؛ فقوته تنتشظى وتنتشر مثله، ولذلك فاستخدام كلمة العمالقة لا يعني سوى تعاضم قوة الشخص المسيطر وأنه امتلاك فائض قوة تبعث فيه الاعتقاد بقدرته وحده على إقامته داخل فضائه المناسب^{٢٠} ففائض هذه القوة جعل امرأة المنصور تبتدع أسطورة التفاح وتقحم نفسها داخل منتهى، في مقابل الصومعة التي ترمز لزوجها الخليفة العملاق، خاصة وأن عظمة وقداسة الجامع بصومعته يلهمان المرء باختلاق الأساطير بشخصها غير التاريخية.

على أية حال، فقد حققت زوجة المنصور حلمها ليس في صنع تفاحات مسجد مراكش فقط، بل في صنع تفاحات الجامع الأعظم بتونس حسب الأسطورة التي يؤمن بها الأفارقة الإيمان الشديد" وبالجامع الأعظم بتونس صومعة توجد في أعلاها ثلاث رمانات من النحاس المموه بالذهب شبيهة بالتي في مراكش، يرجع بعض الفقهاء علة وجودها إلى الأسطورة القائلة: لما خرج يعقوب المنصور مالك مراكش متخفيا لا يعلم بسيرته أحدا من الناس، خرجت امرأة من أزواجه (...) وهي تريد البحث عنه، وكانت حامل بمولود (...) وبعد أن وجدته بالإسكندرية وأقامت معه إلى أن مات ودفن هنالك، أخذت طريق العودة إلى مراكش وأقامت في تونس للاستراحة، وهناك تعلق ولد الملك بابنتها (...) فاشتربت عليه المرأة أن يتزوجها وأن يقدم لها مهرا لا يقل عن المهر الذي قدمه (...) إياها المنصور في صداقتها واستعملته في صنع التفاحات الذهبية المنصوبة فوق منار جامع مراكش. وعندئذ وافق الأمير على الزواج، واكتفى بصنعها من النحاس المذهب^{٢١}. وهكذا كانت زوجة المنصور سببا في صنع تفاحات مسجد تونس مثلما كانت سببا في صنع تفاحات مسجد مراكش. فهل يمكن اعتبار مراكش

بلد التفاح الأسطوري السحري؟ بالطبع، مراكش بلد التفاح فلو لم تكن كذلك لما حرص الملوك على تزيين معالمها الدينية تارة بالتفاح الذهبي وتارة أخرى بالتفاح الفضي" ففي أعلى صومعة الكتبيين ثلاث تفاحات من فضة منضدة في عمود غليظ من فولاذ، مثل التفاحات الذهبية المذكورة، يقال (...). إن علي بن يوسف وضعها هناك تذكارا لانتصار كبير له على النصراني بإسبانيا"^{٧٤} فالقدس التفاحي هنا تماهى مع الذات البربرية في الأوقات الصعبة لتخليد انتصاراتها في الحرب المقدسة ضد مسيحي النصارى، وهذا التماهى تجسده الذات البربرية في كل بلد دخلتها، فبعد دخولها إلى الأندلس وانتصارها في معركة الأرك أصدر الخليفة الموحدى أمره بصنع التفاحات الأربعة المذهبة لصومعة جامع إشبيلية (الجيرالد)^{٧٥} التي رفعت بالهندسة حتى أعلى الصومعة المذكورة ووضعت في العمود وحصلت وحصنت فيه بمحضر أمير المؤمنين أبي يوسف المنصور "^{٧٦} وعليه، يمكن القول إن التفاح الذهبية هي شعار الدولة الموحدية ورمز نصرها في حروبها المقدسة، رمز وشعار تبنته الدولة المرينية عهد يوسف المريني الذي عندما "بنى تلمسان الجديدة وهدبها بنى بها (...) جامعا كبيرا للخطبة (...) ومنارا عظيما، وجعل على رأسه تفاحا من الذهب"^{٧٧} وهكذا استغل الملوك المغاربة المعالم الدينية برموزها كمنطلق لإعلان قوة التوسع والنصر والتمكين تارة، وتارة أخرى كمنطلق " لإعلان بيعتهم، فالجامع الكبير بمراكش الذي بناه يوسف بن تاشفين، كانت ترفع عليه أول راية عند مبايعة ملك جديد، وفيه تبدو سائر علامات الابتهاج أيام الاستبشار العام"^{٧٨} وابتهاجنا لن يكتمل إلا بذكر فضاء جامع الفنا العجيب، الجامع الذي يضم بين جانباته عالما خرافيا غير متجانس من الخطباء والفاعلين، وعالم متنوع من الناس تأتي لترجية أوقات الفراغ وطلب المتعة، عالم يحوي كل من المتكلم والجمهور، والعازفين والمغنين فرادى أو جماعات، وحواة الأفاعي وباعة الأدوية الشعبية، والساحر ومعبرو الأحلام وقارئات الفأل، والوعاظ والفقهاء، ورواة السيرة والقصص العجيبة والغزوات النبوية^{٧٩} وفي الأخير إنه عالم من الخطابات المختلفة الأجناس والأنواع والأنماط، فهناك الغناء والتمثيل والسرود والتقرير، وهناك البديء والسامي والمنفكه، والواقعي والعجائبي والأسطوري، والمقدس والمدنس، وهناك الإمتاع والإفحام والإقناع وغيره، أن هذا العالم المتنوع يعكس بجلاء في تعدده وغناه وبساطته وحتى تعقيده، ذاك الفضاء الشعبي العربي العريق وقت ما كانت المدن العربية القديمة فضاء للحياة العربية في أزهى صورها وأبهى خصوصياتها، فضاء زاخر بالفعل بالدلالات، ودافع إلى طرح السؤال. فما تزال المجالس تعقد في الفضاءات العربية المتعددة. لكن فضاء جامع الفنا في مراكش عريق عراقة هذه المدينة وتاريخها الحافل، تتقدم إليه صورة المجالس الشعبية بكل طروحاتها وصفاتها، مجالس تتجسد في المقامات التي ليست هنا سوى الحلقات التي تملأ ساحته^{٨٠} حلقات تغلق بابها بعدما استطاعت كل من فاس ومراكش المحافظة على قداستهما ومورثهما الثقافي الذي ميزهما وأعطاهما هويتها الفريدة في ظل التغيرات المواكبة لكل دولة من الدول المتداولة على حكم المغرب، وفتح بابا جديد نلج منه إلى المدائن الأسطورية ليكتمل امتلاء ليس ساحة مراكش بل كل الساحات المغربية. فما هي تلك المدن التي لن يكتمل مشهد المقال إلا بها؟ وما الذي جعلها مؤسطرة؟

المدائن المغربية المؤسطرة

الشائع المعلوم، أن المدينة في المعتقدات القديمة ليست مجرد منشأة معمارية، كما يخيل لنا، بل هي مقولة تاريخية، وكل معرفة بهذه المقولة، وكل مسعى لتفهم وظائفها لا بد من أن ينطلق، وقبل كل شيء من حقيقة مفادها أن إنشاء المدينة ارتبط بعلاقة عضوية مع المقدس والأسطورة، التي تمثل في هذه الحالة محاولة لتفسير تجربة مر بها الإنسان وخبرها. ودائما ما تسبق التجربة التفسير اللاهوتي لها في أي دين. فالإنسان كان يشعر أولا أنه أدرك القداسة في مدينة معينة، إذ تساعده أحيانا خصائصها الجمالية من عمارة وموسيقى وطقوس على الارتفاع إلى ما يتجاوز ذاته، في تفسير هذه التجربة باللغة

الشاعرية للأساطير، أو بالرموز الخاصة بالجغرافية المقدسة التي يبدو أنها فتحت أمامه باب الإحساس بالقداسة^{٨٢} وفتحت أعيننا على أن سائر أساطير المدن في المعتقدات القديمة، تنسب إلى الآلهة، ومباشرة، كل مدينة عظيمة تبنى، ولذلك فإن الخطاب الأسطوري يعطي ما هو مطلوب منه لفهم المغزى المحدد لإرسالته الرمزية؛ لأن نسب بناء المدن إلى آلهة السماء يعني أن قوة خفية، كانت على الدوام هي التي تتحكم في النموذج الأرضي للمدينة السماوية، وأن تلك المعتقدات بهذا الشأن كانت أساسا صلبا من جملة أساسات نظام الخطاب الأسطوري، بحيث أمكنها في النهاية تمثلها على أنها مدينة أنشئت وتأسست على يد مخلوقات وكائنات خارقة، جان وشياطين وملائكة، كما هو الحال مع تصور البربر لمذنبهم المؤسفرة. فبفضل هذه المدن التي توازي "كبيدات السماء"، أي، ترتفع لملاقاة القدسي، تمكن البربري من أن يكون قريبا من السماء، كما لو أنه يرتقي صخور الجبل أو يخلق فوق ظهر طائر^{٨٣}، وها نحن نخلق فوق ظهره حتى نتمكن من العلى رؤية سحر تلك المدن الخارقة والخارجة عن المألوف الذي ألفه الإنسان، إنها في الحقيقة يوتوبيا روح الحلم المسورة بالذهب والفضة، والمحروسة من الجن، والقائمة إما على نهر الخرافة أو في قلب الصحراء، والمعانقة في سرتها لمسجد أو معبد يخرج من بيضته المهدي المبدد لملاحم مرارة وقسوة وجفاف الواقع المزيف، والمظهر لملاحم العدل والسلام في أفق هذه المدينة التي تأتلف "مراتب أجزائها بعضها مع بعض وترتبط بالمحبة وتتماسك وتبقى محفوظة بالعدل وأفاعيله"^{٨٤}؛ وكل هذه المواصفات موجودة في ماسة التي هي اسم لمدينة عتيقة كانت تقع جنوب أجدير من إقليم سوس، لم يبق منها إلا نهر يسمى باسمها^{٨٥} فهذه المدينة الغامضة اقترن اسمها على الدوام "بالتصورات الأخرى المغربية"^{٨٦} وأحييت بعجيب الخرافات والأساطير منذ الإشارة الأولى لها في المؤلفات الوثائقية، التي أقر بعضها بوجودها على المحيط الأطلسي، وباحثوا لها لمسجد سيدي "البهلول" ولرباط على شاطئ البحر، أما البعض الآخر فأقام علاقة بين رباطها والنبى يونس والحوت الذي رمى به على شطها حيث ستعيش أمة يونس^{٨٧} بينما أضاف الباقي إلى ذلك القصب الذي أنبتته الله فوق قبر يونس، وهو قصب مقدس لا يجب اقتلاعه، وقد استجوب الولي أبا يعزى أحد زائريه وهو أبو محمد عبد الله السريغيني، أحد أعيان ماسة الذي جاء يحمل قسبا من بلده ووعده بأنه سيعيده إلى المكان الذي اقتلعه منه^{٨٨}.

ومن يتأمل المشهد في المصادر الوسيطية تتأكد له تلك العلاقة الجامعة بين الرباط والنبى والحوت عند البكري "وبماسة رباط مقصود عندهم له موسم عظيم ومجمع جليل وهو مأوى الصالحين"^{٨٩} وعند ابن سعيد في بسطه الذي اكتفى بذكر الرباط " رباط ماسة مأوى الصالحين؛^{٩٠} وعند الجزنائي في جناه" وعلى مصب نهر ماسة يوجد رباطا مقدسا يسميه السكان سيدي رباط، وهو رباط مقصود وله موسم عظيم ومجتمع جليل وهو مأوى للصالحين، ويعتقد سكان تلك الجهة أن الحوت ألقى النبي يونس بمصب نهر ماسة، وأن من تلك الجهة يخرج المسيح الدجال ويظهر المهدي المنتظر^{٩١}؛ وعند ابن عبد الله القرطبي الذي أشار إلى أن ماسة هي المكان الذي سينطلق المهدي من أجل فتح بلاد الأندلس^{٩٢}؛ وعند الزهري الذي وصف الرباط قائلا: "وعلى البحر المحيط الرابطة العظيمة الشأن، المعروفة برابطة ماسة"^{٩٣}؛ كانت مقصدا للعديد من الأتباع والزهاد والنسك، فهي مكان لاستراحة أولئك الذين يرغبون في التأمل والزهد^{٩٤} كالولي الصالح الهزميري الذي كان يحج إليها باستمرار، وتدوم إقامته بداخل مسجدتها شهر عدا حيث كان يتزهد قرب صخرة يونس ويحقق كثيرا من الكرامات عند الساحل، فماسة كانت تجلب إليها في هذه الأوقات العديد من حجاج أغمات وأمكول طلبا للنصيحة لدى الهزميري، ويلحون عليه أن يكون مرشدهم وهو يقر بأنه المنتظر^{٩٥} ونقر معه أن رباط ماسة كان دائما قبلة للزوار من العامة والمتصوفة الذين ينتظرون من يجدهم لهم "الدين ويزعمون أن الوقت قريب"^{٩٦}؛ ويزعم الجزولي بمنطقة سوس أنه وردته رسالة تتنبأ له بالمهدوية "أنت المهدي، من أراد أن يسعد فليأت إليك.. معشر المسلمين خلق الله لكم من يهديكم في آخر الزمان فاحمدوه"^{٩٧} ونحمده لتوجيهنا إلى أن ماسة اكتسبت قداسها وأسطورتها ليس من رباطها وطقوس الحج إليها وحدها، وإنما من الوادي

الذي يجري في أراضيها، وهو واد مبارك لا يجوز انتهاكه" ولم يتخذ الساكنون على هذا الوادي قط رحي، فإذا سئلوا عن ذلك قالوا: كيف نتخذ هذا الماء المبارك في إدارة الأرحاء؟ وهم يتطرون به^{٩٨}، لكن لما يتطرون بهذا الماء ما دام هو ماء مقدس؟ أيعقل أن يكون هذا الماء من أسباب" ابتداء أسطورة قدسية الرابطة الماسية، أم العكس هو الصحيح، أم كلاهما عمل على تقديس الآخر؟^{٩٩}

على أي، قد حان الوقت لننقل وجهتنا صوب المؤلفات الحديثة والمعاصرة، ونستهلها بما قاله كربخال: "بساحل ماسة مسجد هيكله كله مصنوع من أضلاع سمك" البالين" الكبيرة، يقده الشعب الجاهل لاعتقاده أن" البالين" لفظ النبي يونس في هذا المكان، ومن ثم فإن هذا المسجد يتسبب في هلاك كل البالين الذي يمر من هناك، فالعامة تحكي بإيمان شديد أنه ما مرت سمكة من هذا النوع بقرب المسجد إلا ماتت بسبب البركة التي منحها الله لهذا المسجد، الذي سيخرج منه" المهدي المنتظر" يدعو لدين محمد ولذلك يحجون إليه من جميع النواحي، ونحج معهم إلى عقبة البحر الأعظم حيث "سار عقبة من إيجلي، حتى وصل ماسة، فأدخل فرسه في البحر، حتى وصل الماء تلابيبه، وقال: السلام عليكم، يا أولياء الله. فقال له أصحابه: على من تسلّم؟ قال: على قوم يونس عليهم السلام"^{١٠٠} وهذا السلام العقبوي من شأنه تأكيد ذلك الاعتقاد السائد بأن الحوت ألقى النبي يونس بمصب نهر ماسة، وأن من تلك الجهة يخرج المسيح الدجال، ويظهر المهدي المنتظر الذي سيملا الأرض عدلا، ولا يزال العامة إلى يوم يعتقدون أنها المدينة التي سيكون من رباطها خروج" صاحب الوقت" أي المهدي المنتظر، وأن فيها الحجر المسمى حجر يونس الذي يهلك الحثيان العابرة لساحلها، وأن فيه تكمن طبول ذي القرنين المصنوعة من النحاس، فلا يخرجها منه إلا صاحب الوقت، ويقولون إن هذه الطبول ستقرع إيدانا بظهوره، ويقولون إن فيها يوجد مسجد منظر تحت الرمل، ومنه يسمع صوت قرع تلك الطبول:^{١٠١}

طبول نجد لها صدی في رباعیات عبد الرحمن المجدوب الذي تحدث أكثر من مرة عن ماسة وطبلها:

تقدم يا طبل ماسة يا المرقود على العجالي^{١٠٢}

ونتقدم نحن قارعون الطبل بالقول: إن ماسة اشتهرت بتقليد ظهور رجل فاطمي، وأن الناس لا يعلمون حقيقة الأمر فيه، فكثير منهم يقصدون رباطها يتحنون هنالك للقائه، زعما منهم أنه يظهر بذلك الرباط وأنه يباع هنالك^{١٠٣}، لكن هذا الرباط التبس في الرواية الخلدونية برابط المرابطين" ونجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطا بماسة، لما كان ذلك الرباط بالمغرب من الملتزمين من كدالة، واعتقادهم أنه منهم، أو قائلون بدعوتهم^{١٠٤}، وهكذا مع مرور الوقت، اختلط عند العامة رباط المرابطين برباط ماسة. والسؤال الذي يبلبل الذهن هنا هو: إذا كان هذا الرباط خرج منه المصلح الديني عبد الله بن ياسين الذي كاد أن يكون المهدي في الأسطورة، فهل يتكرر التاريخ ويخرج منه المهدي المنتظر نفسه؟ كرد، نعترف بأن ماسة كانت بالفعل مكانا لظهور عدد من أدعياء المهودية، كمحمد بن هود بن عبد الله السلاوي الماسي الذي ظهر برباط ماسة من ناحية السوس ودعا لنفسه، والتويزري الذي خرج بدوره من نفس الرباط، وادعى أنه الفاطمي المنتظر، وأن ذلك المسجد يكون أصل دعوته^{١٠٥}.

يتضح من هذه الأسطورة الماسية أن المغاربة عملوا على استنساخ النماذج الميثولوجية المشرقية الإسلامية الأصلية بعوالمها الطوباوية، وتركيبها وزرعها في الفضاء التاريخي المغربي بما يناسب الذهنية البربرية، مظهرين قدرة كبيرة على اجتياف قصة النبي يوسف وقصة المهدي المنتظر وتذويبها مع ما كان سائدا من تمثيلات دينية متجذرة في الذات البربرية. تذويب مكنهم من امتلاكها بعد تفعيل اهتياقاتها الوجودية المستعارة وإعادة صوغ طروحاتها في قوالب محلية وتوطينها في ماسة بمنطقة سوس المهووسة ساكنتها بالوعود الخلاصية والمؤمنة بالعوالم العجائبية اللاعقلانية والخرافية التي تعد خصيصة من خصائصهم، ففوق الخوارق فيهم وظهور الكاملين في النوع الإنساني من أشخاصهم. ومع هذه الخصيصة التي من

شأنها صرف العقول عن الاهتمام بالواقع الاجتماعي الحقيقي الذي يحيون فيه، فليس القول بأن مدينة ماسة قدست وتأسطرت بعقيدة المهدوية، بعجيبة من العجائب. لكن عجيبه العجائب الحقبة هي تلك المدينة النحاسية المسحورة، مدينة العجائب والغرائب والأسرار والجن، التي لم يتفرد بأسطورتها المغاربة وحدهم، بل عرفها العرب وغيرهم من الأمم؛ فقد أورد الطبري في تاريخه أسطورة مدينة كندر الفارسية، التي عليها أسوار متعددة، وتحرسها الشياطين؛ وهي مدينة تشبه مدينة النحاس حد التطابق والتماثل من حيث وصف الطبري لها، فهل هذا التطابق والتشابه هو من قبيل المصادفة أم هو وصف متعمد يبغي به صاحبه انفراد بلاده بهذا النوع من المدن التي تعادل في قداستها مدينة عدن التي يحلم كل عربي أن تكون ببلده ويتباهى بها متبجحا؟ هل يحق لنا التبحر قولا بوجود مدينة النحاس في المغرب إذا ما كان ذلك القول يحمل نسبة كبيرة من الحقيقة المؤيدة بالشواهد التاريخية؟ وهل يقل ذلك التبحر إذا تضاربت آراء كتاب هذه الشواهد بين ناف ومؤكد؟ المتفق عليه أن الحقيقة دائما نسبية، وتضارب الآراء لا يقلل من تبجحنا ونحن نعرضها بأمانة علمية أمام أنظاركم، وأول تلك الآراء التي نعرضها عليكم تصرح بوجود مدينة النحاس في بعض مفاوز الأندلس" ويقال لها مدينة الصفر، لها قصة عجيبه كتبها في كتب معدودة مشهورة الذكر، وذهبوا إلى أن مدينة النحاس بناها ذو القرنين وأودعها كنوزه وطلسمها، فلا يقف عليها أحد. والصحيح أن الجن بنت لسليمان مدينة النحاس، والأصح أن سليمان بناها لقوله تعالى: وأسلنا له عين القطر (سبا ١٢) القطر هو النحاس"؛ أما ثاني الآراء فتصرح بوجودها بالمغرب" ككدم مدينة بأقصى المغرب (...) وحكى الفقيه علي الجحاني أنه مر بقرب ككدم بتل عال، والناس يقولون: من سعد هذا التل اختطفه الجن، وعنده مدينة النحاس التي اشتهر ذكرها"؛ ذكر نجد له صدى في الرواية الخلدونية" حديث مدينة النحاس، وأنها مدينة كل بناؤها من نحاس بصحراء سجماسة ظفر بها موسى بن نصير"؛ ذات الصدى وجد في رواية ابن الوردي" ويحكى أن موسى بن نصير لما قلد الغرب وولياها (...) أقام سبعة أيام يسير في رمال بين مهبي الغرب والجنوب، فظهرت له مدينة عظيمة لها حصن عظيم"؛ وظهر لقمم النحن ترجيح الرواية القائلة بوجود مدينة النحاس في المغرب وبينائها من طرف سليمان، وهذا الترجيح قد يكون ممكنا ما دام سليمان قد " وصل إلى شيء لم يصل إليه أحد حتى أنه كان يسجن المردة والشياطين في قمام من النحاس ويسبك عليهم بالرصاص ويختم عليهم بخاتمهم ويرميهم في البحر"؛ وهذا البحر هو الذي جاء لرؤيته موسى بن نصير والشيخ عبد الصمد" فقال الأمير موسى لملك السودان: نحن أصحاب ملك الإسلام عبد الملك بن مروان، وقد جننا بسبب القمام النحاس التي عندكم في بحركم وفيها الشياطين محبوسة من عهد سليمان بن داود (ع)؛ وهذا يعني أن البحر المتحدث عنه في النص موجود بالمغرب، ونزكي ذلك بوجود سجن سليمان بطنجة حسبما ذكره ابن الخطيب" مدينة طنجة اختصها سليمان بسجن مرده الجن فيغترها على أوان ملئت جورا"؛ وهذا السجن هو الذي دل موسى بن نصير ورفيقه على طريق المدينة كما جاء في ألف ليلة وليلة" بلغني أيها الملك السعيد، أن الجني الذي في العمود لما حكى لهم حكايته من أولها إلى سجن في العمود. قالوا له: أين الطريق الموصلة إلى مدينة النحاس؟ فأشار لنا إلى طريق المدينة، وإذ بيننا وبينها خمسة وعشرون بابا لا يظهر منها باب ولا يعرف له أثرا، وصورها كأنه قطعة من جبل أو حديد صب في قالب، فنزل القوم ونزل الأمير موسى والشيخ عبد الصمد واجتهدوا أن يعرفوا لها بابا أو يجدون لها سبيلا"؛ وأسبيلنا من هذا العرض الروائي بترجيحاته، أن مدينة النحاس اقترنت باسم موسى، فهي مدينة أندلسية تارة، ومغربية تارة أخرى، وفي منزلة بينهما، في غالب الأحيان، لأنه لم يكن مهما تحديد موقعها، وموقع توابعها، كالبحيرة العجيبة، ووادي النمل، بقدر ما كان مهما تصوير مقدار سيطرة موسى على كل المغرب الإسلامي، إنسه وجنه: أهل واتته الفرصة التي مكنته من ذلك؟ أم توقفت فتوحاته عند مدينة النحاس وأرجعه جنها وإنسها إلى بلاده؟

قيل " إن موسى خرج غاز بنفسه، بعد افتتاحه مدينة طنجة والخضراء وغيرها. فمضى حتى انتهى إلى أرض تميد بأهلها. وذلك عند البحر الأصم. فسائر البحر، حتى انتهى إلى قنطرة عليها صنم من نحاس (...). ثم قيل لموسى: إن في هذه الرمال قلعة فيها أعاجيب. فسار إليها، فحاولها، فلم يقدر عليها، فأمر ببنيان، فبنى حتى أشرفوا عليها. فلما أطل الناس الذين كانوا بينون النظر إليها وإلى ما كان فيها، استضحكوا ورموا بأنفسهم، فوقعوا موتى. ثم نادى موسى: من سعد فله منه دينار، فصعد رجل، فلما أشرف عليها استضحك ثم رمى بنفسه. فلما رأى ذلك موسى، قال. هذا من بعض عجائب الشياطين. فانصرف عنها".^{١٢١} والسؤال الذي يثور هو: ما الذي يراه هؤلاء ويجعلهم يسقطون حبا في الموت؟ وهل حقا انصرف موسى عن المدينة دون أن يدخلها دخول ذلك الرجل من صعيد مصر الذي حكى عنه أنه " أتاه رجل آخر وأعلمه أنه يعرف مدينة في أرض الواحات بها كنوز عظيمة. فتزودان وخرجا فسافرا في الرمل ثلاثة أيام ثم أشرفا على مدينة عظيمة (..) فصعدا إليها ووجدا من الذهب وغيره ما لا يكيف ولا يوصف، فأخذا منه ما أطاقا حمله ورجعا بسلامة"^{١٢٢}

والإجابة عن هذين السؤالين نجدها في كتاب ألف ليلة وليلة، ففيما يخص السؤال الأول المتعلق بما يراه الرجال ويسقطهم في المدينة دون رجعة فقد رواه الشيخ عبد الصمد الذي قال: " لما حصلت أعلى السور رأيت عشر جوار كأنهن الأقمار وهن يشرن بأيديهن أن: تعال إلينا (...). فتماسكت عنهن"^{١٢٣}، إذن، فسبب السقوط كان بسبب جوار غاويات متوشحات بالحسن والجمال الفاتن، فلم يخطأ الشاعر الجاهلي عندما جسد المدينة في المرأة الجميلة كما سبق وأشارنا إلى ذلك في التقديم، ولعل ذلك راجع لكون المرأة في نظره هي عامل التواجد والتواصل، عامل العمران والاستقرار الحضاري، وعامل الخصب والغنى والعطاء. هذه العوامل الثلاثة تتداخل ديكالكتيكا لتعطي للإنسان المستقر في أي زمان ومكان. ورحيل المرأة عن هذا المستقر يعني اندراس معالمه وتحوله إلى أطلال منهزمة خربة. اندراس لا بد وأن يفضي إلى تشرذ جماعي، وهذا ما كان يؤرق الشاعر ويدفعه إلى نزعة نحو معطى متحضر ومستقر.^{١٢٤} أما فيما يخص السؤال الثاني بانصراف موسى عن المدينة فالكتاب ألف ليلة وليلة يفيها ويؤكد دخوله لها: وعندما دخل موسى بن نصير مدينة النحاس رفقة الشيخ عبد الصمد وجدا " خزائن مملوءة بأصناف من الذهب والفضة وسكارج البلور والأقداح المرصعة باللؤلؤ الرطب وكاسات العقيق وغير ذلك (...). وأصناف من الوحوش والطيور وكل ذلك من ذهب أحمر وفضة بيضاء وأعينها من الدرر واليواقيت يتحير كل من رآها (...). وطيور أرجلها من الزمرد الأخضر... إلخ"^{١٢٥}

ونعتقد أن مدينة بكل تلك النفائس الذهبية من شأنها أن تجعل موسى يقدم على دخولها بأية طريقة كانت، مثلما أقدم على دخول الأندلس من أجل الحصول على مائدة سليمان، ودخوله إلى هاتين المدينتين يمكن تصويره " على أنه رقص خطير من أجل العجل الذهبي. وفي أثناء هذا الرقص يسقط الكثيرون، ويخسر الآخرون سمعتهم وصحتهم، لأن الطمع والجشع من أجل الثروة يسلب البشر شخصياتهم ويجعلهم قساة القلوب"^{١٢٦} فقسوة قلب موسى بن نصير وجشعه جعله يدخل في صراع مع عقبة بن نافع من أجل الفوز بمائدة سليمان مثلما جعله يحارب أهل حصن مدينة النحاس" ثم أمر بالمجانيق، فوضعت على ذلك الحصن. ثم قال: ارموا فلما وقعت الحجارة في الحصن، صاحوا وضجوا وقالوا: أيها الملك لسنا بغيتك، ولا نحن ممن تريد، نحن قوما من الجن، فانصرف عنا"^{١٢٧} وهذا دليل على توق نفس موسى إلى هدم المدينة ودخولها وأخذ ما فيها من كنوز، وعلى مقاصده الفعلية في مجيئه إلى المغرب بحثا عن المدينة الذهبية التي صورتها ميثولوجيا التقاليد الدينية القديمة، التي على أساسها تحركت سائر الثقافة المؤسسة لأساطير الانتقال والترحال من مكان إلى آخر سواء هجرة أو غزو، والمحتضنة في مركزيتها للأسطورة الأكثر ديناميكية في هذه الثقافات: البحث عن الجنة والعودة إليها، أي العودة إلى الأرض الموعودة التي تفيض لبنا وعسلا بوصفها نموذجاً أرضيا في نموذج سماوي أصل، ورمزيا: البحث عن مدينة ذهبية في الصحراء تم العثور عليها مطمورة في الرمال،^{١٢٨} وإخرافا: فمن الجائز القول إن الغزو الموسوي لمدينة النحاس وتجادل

البحاث حول موقعها، وإجماعهم على صعوبة الوصول إليها، وحديثهم عن كنوزها المخفية وحصانة أسوارها وحراسة القوى السريالية لها بالإضافة إلى تمكن رجل من دخولها في زمن موسى، أسطر المدينة في الضمير الجمعي. فالقراءة الأولى لخطوط هذه الأسطورة تكشف البعد السلطوي المتجلي في الافتراض التالي: ربما من المحتمل أن أحد أسباب شيوعها أو ارتباطها بموسى بن نصير وعصره؛ يكمن في نزعة الخلافة الأموية إلى التماهي مع الماضي الأسطوري بما هو خزان للعجائبي والمدهش. وعلاوة على ذلك، تكشف بأن فكرة بناء المدينة هي الأساس القديم، الطفولة البعيدة لفكرة بناء هيكل الرب المرتبطة بوجود قوة أسطورية لدى سليمان مكنته من الحصول على الذهب والخشب ومن بناء مدينة في قلب الصحراء؛ وهي ذاتها الأسطورة التي أعاد إنتاجها الوعي الجمعي المغربي واضعا مدينة النحاس محل المدينة التوراتية؛ وجاعلا للقوى الخفية، قدرة على بنائها. مؤكداً بذلك على أن مدينته فرع من فروع "الأسطورة الأم" التي تفرعت عنها سائر أساطير المدينة الذهبية التي تبنيتها قوى سريالية خارقة النفوذ؛ وتظهر مرة على أنها تدمر مرة على أنها أوفير ومرات على أنها إرم أو الإسكندرية أو بعلبك. ونشير إلى الينبوع الحقيقي الذي أوحى بهذه الأسطورة الأم وساعد على نسجها، هو ينبوع المعتقدات العربية البدئية التي طورتها القبائل المرتحلة في الصحراء^{٢٩} وتشبه بهؤلاء العرب نسج المغاربة أسطورة مدينة النحاس بصفات إرم العجائبية في صحراء سجماسة، وأظهروا اشتراكهما في التواجد بقلب "الصحراء وأن من يدخلها لن يدخل مكانا أرضيا يستطيع مغادرته والعودة إلى قبيلته، بل سيصبح جزء منها. الإنسان الباحث عن مدينة النحاس لكي يصعق ويرمي بنفسه من أعلى شرفاتها فلا يعود آخر الزمن هو نفسه الإنسان العائد إلى مكانه الأول، موطنه القديم: الجنة. أما عودته من اللازم فهو تكرار للبعد المأساوي في البحث عن المدينة العجائبية ومحاولات العودة إلى ما لا نهاية يحمل في طياته دلالة القول النبوي "ألا إن الزمان يعود كهينته الأولى":^{٣٠} العودة الزمن إلى نقطة بدئه، هذه لن تحدث إلا عبر اكتشاف المدينة العجائبية المضاء وسط الصحراء، وليس في أي مكان آخر". ولذلك يجب الأخذ بالحسبان، أن انتقال إرم ذات العماد إلى صحراء سجماسة وارتباطها بعصر الفاتح موسى بن نصير ما هو إلا تأكيد على قيام الفتوحات الإسلامية بتنشيط المخيال العربي الإسلامي ذي الجذور الميثولوجية حيال المدينة الذهبية بصفتها ذكرى دفيئة عن المكان السماوي الأول، تنشيط يكشف لنا أن عالم الصحراء كعالم لاعضوي هو موطن أسطورة عن عالم مفقود، ضائع، يبحث عنه الإنسان، وتلك واحدة من الحقائق التي تعرب عنها أسطورة كل من إرم ومدينة النحاس^{٣١} ونعرب بدورنا أن ما عرضناه كان غيض من فيض المدن المؤسطرة والمقدسة ببلاد المغرب، البلاد التي رأت فيها عين البربري ومخيلته أجمل بلدان العالم، فأسقط نظره دون تعب كطائر الفينيق على كل بقاعها القدسية واحدة واحدة باعث فيه الحياة ليظل وجودها حقيقة متألئة براقعة واقعا وخيالا ماثلين في تراثه المغربي والعالمي.

المصادر والمراجع

- ابن أبي زرع، علي. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧٢.
- Ibn abi zara', ali. Alanis almootrib brodh alkirtas fi akhbar molook almoughrib wa tarikh madint fas,rabat, dar almansiur littiba'a waalwarkka,1972
- ابن الأحمر. روضة النسرين في دولة بني مرين، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٦٢.
- Ibn alahamar. Rawdat alnistrin fi dawlat bni marin, rabbatal, almattba'a almalkia, 1962.
- ابن الوردي. خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زناتي، ط ١، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٨.
- Ibn alwarrdi. Kharidat ala'jaib wa faridat alghraiab, tahqiq anwar zanati, tabea1, alqahira, maktaba althaqafa alddynia,2008.

- ابن خلدون. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، ١٩٧٩.
- Ibn kaldoun. Ala'bar wa diwan almoubtada wa alkhbar fi ayam alarab wa ala'jam wa albabar wa man assarhoum min dawī alsaltan alakkbār, bayrout, moassat jamal litba'a wa alnashr, 1979
- ابن خلدون. المقدمة، مراجعة سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٠.
- Ibn khaldoun. Almoqadima, maraja'at souhil zkkar, bayrout, dar alfakr, 2000.
- ابن صاحب الصلاة. المن بالإمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧.
- Ibn sahib assalah. Alman bilimammah, dar algharb alislami, bayrout, 1987.
- ابن عذاري. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إ. ليفي بروفينسال، بيروت، دار الثقافة، د.ت.
- Ibn addari. Albayan almaghrib fi akhbar alandolus wa almaghrib, tahqiq lifi pfofissinal, bayrout, dar athqafa, dun tarikh.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صابر، بيروت.
- Ibn Mandor, Jamal Alddin mohamad bin mukram. lisan alarab, bayrout, dar sabir.
- الجزنائي، علي. جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط ٣، الرباط، المطبعة الملكية، ٢٠٠٨.
- Aljaznaie, ali. Jana zahrat alass fi bina madinat fas, tahkkik abdulwouhab bin Mansour, 3, rabbat, almattba'a almalikyia, 2008.
- الحميري. الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٤.
- Alhamyri. Alroud alma'tar fi khabar al aqttar, tahqiq ihssan abbas, bayrout, maktabat lobnan 1984.
- السلمي، جعفر بن الحاج. الأسطورة والمغرب الأقصى دراسة تنسيقية تفسيرية لتاريخ المغرب الأسطوري وجغرافيته، ط ١، تطوان، جمعية تطاون أسمير، ٢٠١٧.
- Assalmi.ja'afar bnalhaj. Alastourah wa almaghrib alakssa dirasa tansikia tafsiria Itarikh almaghrib alastoori wajakhrafiytoh,1, toutouan, jama'yat toutouan, assmir, 2017.
- السملالي، العباس بن إبراهيم. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٨٣.
- Assimlali, alabbas bn Ibrahim. Ala'alam bman hal marrakkich wa aghmat mim alaalam, rabbar, alatba'a al malkaya, 1983.
- التادلي. التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، ط ٣، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٧.
- Altadli. Attshawouf ila rjal altasswof wa akhbar abbi al a'bbas assabti, tabea 3, aldar albaydda, mattba'at alnajah aljadida, 1997.
- الربيعي، فاضل. إرم ذات العماد من مكة إلى أورشليم البحث عن الجنة المفقودة، بيروت، رياض الريس، ٢٠٠٠.
- Alrrabia'y fadil, irim dat elemad min makka ila ourshalim albahath an aljan almafghoda, byrout, rayad arrays, 2000.
- الكتاني، محمد. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقيروا من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، ط ١، الدار البيضاء، دار الثقافة، ٢٠٠٤.
- Alkattani, mohammed, salwat alanfas wa mahadthat alakkyas bamn agbar min aloulama bi fas, tahakik Abdullah alkamil alkattani ou akkhroun, laddar albidaa, dar athkafa, 2004.
- المكناسي، ابن القاضي. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس، الرباط، دار المنصور، ١٩٧٣.
- Almikknassi, ibn alkadi. Jathwat aliktibas fi dikr mn ahal fi mdinat fas, alrabbat, dar almansour, 1973.
- الوزان، حسن. وصف إفريقيًا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط ٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣.
- Alwazzan, hassan. Wassf afriqia, tarjamat mohammed hajji wa mohammed alakhadar, 2bayrout, dar algharb alis slami, bayrout, 1983.

- جلاب، حسن. الحركة الصوفية بمراكش ظاهرة سبعة رجال، ط ١، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، ١٩٩٤.
- Jallab.alabbas bn Ibrahim. Alsoufya bimarrakich dhahirat saba'a rijjal, tabea1, marrakkich, almoutba'a wa lwarraqa alwatania, 1994.
- دوتي، إدمون. مهام في المغرب من خلال القبائل، ترجمة عبد الرحيم حزل، المغرب، دار الأمان، المغرب، ٢٠١٥.
- Doti, addmoon, maham fi almaghrib min khilal al qabail, tarjamat abdulrahim hazal, almoughrib, dar al aman. Almaghrib, 2015.
- شلحد، يوسف. بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده، تعريب خليل أحمد خليل، ط ١، بيروت، دار الطليعة، ط ١، ١٩٩٦.
- Shahid, youssif. Bni almakdis a'nd kabl iasslam wa baaadoh, ta'rib Khalil ahmed khali, tabea 1, bayrout, dar attlia'a,1996.
- عقاق، قادة. دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر دراسة في إشكالية التلقي الجمالي، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١.
- Agag gada. Dalat al-madina fi alkhatab alsha'ri alarbi almiua'sir drasa ishkakliyt attalaki ljmali, dumishk, manshorat itihad alkitab ala'rab, 2001.
- كربخال، مامول. إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، الرباط، مكتبة المعارف الجديدة، ١٩٨٤.

الهوامش

- ١- إرم ذات العماد من مكة إلى أورشليم البحث عن الجنة المفقودة، فاضل الربيعي، ص ٥٩.
- ٢- المرجع السابق، ص ٧٧-٧٨.
- ٣- دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر دراسة في إشكالية التلقي الجمالي، قادة عقاق، ص ٢٧.
- ٤- جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، محمد صالح خرفي، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠٠٦، ص ٨٠.
- ٥- دلالة المدينة في الخطاب الشعري، قادة عقاق، ص ٩٠.
- ٦- إرم ذات العماد من مكة إلى أورشليم البحث عن الجنة المفقودة، فاضل الربيعي، ص ٥٩.
- ٧- جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، محمد صالح خرفي، ص ٨٠.
- ٨- لسان العرب، ابن منظور، مج ١٣، ص ٤٠٢.
- ٩- المدينة الإسلامية، محمد عبد الستار عثمان، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٨، العدد ١٢٨، ص ١٥.
- ١٠- حمدان، جمال، جغرافية المدن، جمال حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢، دت، ص ١٧٤-١٧٥.
- ١١- بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده، يوسف شلحد، تعريب خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت ١٩٩٦، ط ١، ص ٩.
- ١٢- جغرافية المدن، جمال حمدان، ص ١٧٥.
- ١٣- يوسف، بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده، يوسف شلحد، ص ١٥.
- ١٤- القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، كارين أرمسترنج، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، سطور، ١٩٩٨، ص 32.
- ١٥- المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ماريا لويزا برنيري، ترجمة عطيات أبو السعود، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٧، ص ٧.
- ١٦- المرجع السابق، ص ٩-١٠.
- ١٧- دلالة المدينة، قادة عقاق، ص ٩٠.
- ١٨- المرجع السابق، ص ٢٩.
- ١٩- سلوة الأنفاس ومحادثاة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، الكتاني، ج ١، ص ٧٥-٧٧-٨٠.
- ٢٠- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، علي ابن أبي زرع، ص ٣٧. جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، علي الجزنائي، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ص ٢٠. جذوة الاقتباس، ابن القاضي المكناسي، ج ١، ص ٣٥.
- ٢١- الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، علي السنوسي الخطابي الإدريسي الحسني، مطبعة الشباب، مصر ١٣٤٩هـ، ص ٨.

- ٢٢- الأنييس المطرب، ابن أبي زرع، ص ٣٧. جنى زهرة الآس، الجزنائي، ص ٢٣. جذوة الاقتباس، المكناسي، ج ١، ص ٣٠-٣١.
- ٢٣- جنى زهرة الآس، علي الجزنائي، ص ٢٣.
- ٢٤- السلمي، جعفر بن الحاج، الأسطورة والمغرب الأقصى، ج ٢، ص ٦٩.
- ٢٥- الأنييس المطرب، ابن أبي زرع، ص ٤٥. جنى زهرة الآس، الجزنائي، ص ٢٣. جذوة الاقتباس، المكناسي، ج ١، ص ٣٦.
- ٢٦- ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دت، ج ٣-٤، ص ٢١٦-٢١٩.
- ٢٧- جنى زهرة الآس، علي الجزنائي، ص ٢٤.
- ٢٨- الأسطورة والمغرب الأقصى، جعفر بن الحاج السلمي، ج ٢، ص ٧٢.
- ٢٩- سلوة الأنفاس، الكتاني، ج ٣، ص ١٤٤.
- ٣٠- الذخيرة السننية في تأريخ الدولة المرينية، علي الفاسي بن أبي زرع، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ١٩٧٢، ص ١٦١. روضة النسرين في دولة بني مرين، أبي الوليد إسماعيل، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٦٢، ص ٢٠.
- ٣١- الذخيرة السننية، علي الفاسي بن أبي زرع، ص ١٦١-١٦٢. جذوة الاقتباس، المكناسي، ج ١، ص ٥١.
- ٣٢- الأنييس المطرب، ابن أبي زرع، ص ٣١.
- ٣٣- روضة النسرين، ابن الأحمر، ص ٢٠.
- ٣٤- كتاب الجغرافية، أبي عبد الله محمد، تحقيق محمد حاج صادق، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، دت، ص ١١٤.
- ٣٥- الأسطورة والمغرب الأقصى، جعفر بن الحاج السلمي، ج ٢، ص ٧٩.
- ٣٦- جنى زهرة الآس، علي الجزنائي، ص ١٥. المكناسي، جذوة الاقتباس، ج ١، ص ٢٣-٢٤.
- ٣٧- سلوة الأنفاس، الكتاني، ج ١، ص ٧٧-٧٩.
- ٣٨- جنى زهرة الآس، الجزنائي، ص ٢٦. المكناسي، ج ١، ص ٣٩.
- ٣٩- المرجع السابق، الجزنائي، ص ٢٢. المرجع السابق، المكناسي، ج ١، ص ٣٦. الأنييس المطرب، علي بن أبي زرع، ص ٤٨.
- ٤٠- سلوة الأنفاس، الكتاني، ج ١، ص ٧٦.
- ٤١- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ١٧٢-١٧٤.
- ٤٢- جنى زهرة الآس، الجزنائي، ص ٢٠.
- ٤٣- سلوة الأنفاس، الكتاني، ج ١، ص ٧٧.
- ٤٤- نيكلسون، الصوفية في الإسلام، ترجمة نور الدين شرييه، ط ٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٢، ص ٨٨.
- ٤٥- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون، ج ٤، ص ٢٠.
- ٤٦- الدرر السننية في أخبار السلالة الإدريسية، الحسني، ص ٧٥. جنى زهرة الآس، الجزنائي، ص ٤٧. جذوة الاقتباس، المكناسي، ج ١، ص ٥٣-٥٤.
- ٤٧- جنى زهرة الآس، الجزنائي، ص ٥٢.
- ٤٨- نفسه، الجزنائي، ص ٥٤-٥٥. جذوة الاقتباس، المكناسي، ج ١، ص ٥٥-٥٦. الأنييس المطرب، ابن أبي زرع، ص ٥٨.
- ٤٩- من تراث القداسة إلى قداسة التراث، ضمن القداسة والرهانات الجيوسياسية للتراث، حبيب النهدي، ص ٢١٢.
- ٥٠- المدينة في العالم الإسلامي، مجموعة مؤلفين، ص ٤٥.
- ٥١- معجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت، دار صابر، دت، ج ٥، ص ٩٤.
- ٥٢- الإحاطة بأخبار غرناطة، ابن الخطيب، مراجعة وتقديم وتعليق، بوزيانى الدراجي، الجزائر، دار الأمل، دت، ج ١، ص ٢١٠.
- ٥٣- الحركة الصوفية بمراكش ظاهرة سبعة رجال، حسن جلاب، ط ١، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، ١٩٩٤، ص ٥٤.
- ٥٤- السملالي، العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٨٣، ج ١، ص ٩٣.
- ٥٥- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، محمد بن الحاج بن عبد الله الوفراني، صحح عباراته التاريخية السيد هوداس، مدينة انجي، مطبعة علي بردين، ١٨٨٨، ص ٦٨.
- ٥٦- الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات، السملالي، ج ١، ص ٨٧-٩٤.
- ٥٧- أتو، رودلف، فكرة القدسي التقصي عن العامل غير عقلاني في فكرة الإلهي وعن علاقته بالعامل العقلاني، دار المعارف الحكيمة، ٢٠١٠، ص ١٨٧.

- ٥٨-التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، التادلي، ص ٣٢-٣٣.
- ٥٩-المرجع السابق، ص ٥٩.
- ٦٠-الرحلة المراكشية أو مراة المساوي الوقتية، ابن المؤقت المراكشي، دار المعرفة، دت، ص ٨.
- ٦١-حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج ١، ص ١٣٦.
- ٦٢-إرم ذات العماد، فاضل الربيعي، ص ١٤٤.
- ٦٣-مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج ٢، ص ٥٤.
- ٦٤-رحلة المغرب لفرنندو بلدمراما مرتينث، خواكين غاثيل، تطوان، دار الطباعة المغربية، ١٩٥٤، ص ٩١-٩٢.
- ٦٥-وصف إفريقيا، حسن الوزان، ج ١، ص ١٣١.
- ٦٦-الأسطورة والمغرب الأقصى، جعفر بن الحاج السلمي، ج ٢، ص ٨٦.
- ٦٧-وصف إفريقيا، حسن الوزان، ج ١، ص ١٣١.
- ٦٨-المرجع السابق، ج ١، ص ١٣١.
- ٦٩-إفريقيا، مرمول كربخال، ج ٢، ص ٤٩.
- ٧٠-وصف إفريقيا، حسن الوزان، ج ١، ص ١٣١.
- ٧١-الأسطورة والمغرب الأقصى، جعفر بن الحاج السلمي، ج ٢، ص ٨٧.
- ٧٢-إرم ذات العماد، فاضل الربيعي، ص ١٥٨.
- ٧٣-إفريقيا، مرمول كربخال، ج ٣، ص ٢٢.
- ٧٤-المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٤. وصف إفريقيا، حسن الوزان، ج ١، ص ١٢٨.
- ٧٥- سالم، عبد العزيز، العمارة الإسلامية وتطورها، مجلة عالم الفكر، الكويت، ١٩٧٧، مج ١، ع ١، ص ٢٦-١٢٥.
- ٧٦-المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التازي، ابن صاحب الصلاة، ط ٣، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧، ص ٣٩٤-٣٩٣.
- ٧٧-الأنيس المطرب، ابن أبي زرع، ص ٣٨٧.
- ٧٨-إفريقيا، مرمول كربخال، ج ٢، ص ٥٤.
- ٧٩-السردي العربي مفاهيم وتجليات، سعيد يقطين، ص ٢٢٩.
- ٨٠-المرجع السابق، ص ٢٢٩.
- ٨١-إرم ذات العماد، فاضل الربيعي، ص ١٧٢-١٧٣.
- ٨٢-القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، كارين أرمسترونغ، ص ١٨.
- ٨٣-إرم ذات العماد، فاضل الربيعي، ص ١٧٢. ص ١٧١-١٧٢.
- ٨٤-دلالة المدينة، قادة عقاق، ص ٥٨.
- ٨٥-جنى زهرة الأس، علي الجزنائي، ص ٨.
- ٨٦-دوتي، إدمون، مهام في المغرب من خلال القبائل، ترجمة عبد الرحيم حزل، المغرب، دار الأمان، ٢٠١٥، ص ٣٠٩.
- ٨٧-أدب الحدثان والمجال المقدس في المغرب نموذج ماسة، عبد العزيز بلفايدة، ص ٥-٦. <http://www.amrh.ma>
- ٨٨-دعامة اليقين في زعامة المتقين مناقب الشيخ أبي يعزى، العزفي، تحقيق أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، دت، ص ٥٦-٥٥.
- ٨٩-المسالك والممالك، البكري، دراسة وتحقيق زينب الهكاري، تقديم أحمد عزاوي، مطبعة الرباط نت، المغرب، دت، ص ١٦١.
- ٩٠-كتاب بسط الأرض، ابن سعيد، تطوان ١٩٥٧، ص ٦٧.
- ٩١-جنى زهرة الأس، علي الجزنائي، ص ٨.
- ٩٢-أدب الحدثان، عبد العزيز بلفايدة، ص ٦.
- ٩٣-كتاب الجغرافية، الزهري الأندلسي، ص ٩٧.
- ٩٤-الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٧٨، ج ١، ص ٢٦٩.
- ٩٥-أدب الحدثان، عبد العزيز بلفايدة، ص ٦-٧.
- ٩٦-إثم العيين ونزهة الناظرين، رابطة الدين، أطروحة مرقونة، الرباط، ص ١٧٧.
- ٩٧-ممتع الأسماح في الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع، محمد المهدي الفاسي، تحقيق عبد الحي العمراوي، ص ٥.
- ٩٨-المسالك والممالك، البكري، ص ١٦٢. الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري، تحقيق إحسان عباس، ص ٣٣٠.
- ٩٩-الأسطورة والمغرب الأقصى، جعفر بن الحاج السلمي، ج ٢، ص ٦٣.
- ١٠٠-إفريقيا، مرمول كربخال، ج ٢، ص ٢٩.
- ١٠١-وصف إفريقيا، حسن الوزان، ج ١، ص ٢٩.
- ١٠٢-إفريقيا، مرمول كربخال، ج ٢، ص ٢٩.
- ١٠٣-البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري، تحقيق إ. ليفي بروفينسال، ج ١، ص ٢٧.

- ١٠٤-جنى زهرة الأس، علي الجزنائي، ص ٨-٩.
- ١٠٥-مهام في المغرب من خلال القبائل، إدمون دوتي، ص ٦١-٣٠٩.
- ١٠٦-أدب الحدثنان، عبد العزيز بلفايدة، ص ٧.
- ١٠٧-المقدمة، ابن خلدون، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠، ج ٢، ص ١٤٥-١٤٦.
- ١٠٨-المرجع السابق، ج ٢، ص ١٢٠.
- ١٠٩-البيان، ابن عذاري، ج ٣، ص ٢٦. العبر، ابن خلدون ج ٦، ص ٢٣٢. المقدمة، ابن خلدون، ج ٢، ص ١٥٠.
- ١١٠- كراتشكوفسي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧، ص ٢-٦٣.
- ١١١-تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، الطبري، دار الفكر، ١٩٧٩، ج ١، ص ٥٠٧.
- ١١٢-آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني، بيروت، دار صابر، دت، ص ٥٥٨-٥٥٩-٥٦١.
- ١١٣-المرجع السابق، ص ٥٨.
- ١١٤-المقدمة، ابن خلدون، ج ١، ص ١٣٣.
- ١١٥-خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ابن الوردي، تحقيق أنور محمود زنتاتي، ط ١، ص ٨٠.
- ١١٦-ألف ليلة وليلة، عفيف نايف حاطوم، ط ٢، بيروت، دار صابر، ٢٠٠٨، ط ٢، ج ٢، ص ٣٩-٤٠.
- ١١٧-المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٤.
- ١١٨-معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، ابن الخطيب، ص ٧٢-٧٣-١٧٧.
- ١١٩-ألف ليلة وليلة، عفيف نايف حاطوم، ج ٢، ص ٤٦.
- ١٢٠-الأسطورة والمغرب الأقصى، جعفر بن الحاج السلمي، ج ١، ص ٩١.
- ١٢١-كتاب التاريخ، عبد الملك بن حبيب، دراسة وتحقيق خورخي أغواي، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد ١٩٩١، ص ١٤٣-١٤٤.
- ١٢٢-خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ابن الوردي، ص ٨١.
- ١٢٣-ألف ليلة وليلة، عفيف نايف حاطوم، ج ٢، ص ٤٩.
- ١٢٤-دلالة المدينة، قادة عقاق، ص ٣٢.
- ١٢٥-ألف ليلة وليلة، عفيف نايف حاطوم، ج ٢، ص ٥١-٥٢.
- ١٢٦-دلالة المدينة، قادة عقاق، ص ٩٦.
- ١٢٧-كتاب التاريخ، عبد الملك بن حبيب، ص ١٤٥.
- ١٢٨-إرم ذات العماد، فاضل الربيعي، ص ١٣٤-١٣٦.
- ١٢٩-المرجع السابق، ص ١٢١-١٢٣.
- ١٣٠-المرجع السابق، ص ١٨٧.
- ١٣١-المرجع السابق، ص ١٨٧.